الغزل فى شعر صالح جودت[1]

(١٩١٣ - ١٩٧٦)

إعداد

دكتور / أحمد يوسف خليفه

قسم اللغة العربية - كلية الآداب بسوهاج

جامعة جنوب الوادى

على أرض المنصورة الحبيبة، وبين أحضانها الفيحاء، وظلالها الوارفة، كانت نشأة شاعرنا صالح جودت، فامتزج دمه بحبها، وتعلقت أنظاره بأجوائها، وأسماعه بألحانها، وأنشأ لسانه يشدو بماضيها وحاضرها، فمنح رقة القلب ورهافة الحس، وشدة الحب لمن رأى فى أى مكان وجد فيه، أو رحل إليه، فكانت تجربة الغزل من التجارب السائدة فى شعره، وهى تجربة تظللها الملامح الرومانسية.

---

(١) صالح جودت من ألمع شعراء أبوللو ، ورفيق لصحبة من نجوم الشعر الرومانسى من أبناء المنصورة منهم: محمد عبد المعطى الهمشرى، وعلى محمود طه، وإبراهيم ناجى، ومختار الوكيل. أتم تعليمه الثانوى بمدرسة المنصورة الثانوية ثم التحق بكلية التجارة، وبعد تخرجه منها تدرج فى مناصب إعلامية وإدارية، وعمل عضوا بارزا فى كثير من اللجان والجمعيات الأدبية، وشارك فى مؤتمرات الشعر فى مصر وفى خارجها، ونال كثيرا من الجوائز والأوسمة.

صالح جودت كاتب ومترجم ومحقق ، قرأ روائع الأدب العالمى، لاسيما الشعر الإنجليزى، وحفظ الشعر لشعراء قدامى ومحدثين، فقد حفظ الشوقيات كلها، وقصائد من الشعر الجاهلى والإسلامى والأموى والعباسى. وله ستة دواوين، آخرها ديوانا ألحان مصرية، وا لله والنيل والحب، وهما اللذان اعتمد عليهما هذا البحث، وذلك لكثرة ما يضمان من قصائد الغزل الناضجة. وله أيضا أعمال فى القصة والرواية والتراجم والنقد.

راجع هذا فى :

د. عبد العزيز الدسوقى . جماعة أبوللو وأثرها فى الشعر الحديث .

،د. محمد عبد المنعم خفاجى . الأدب العربى الحديث . الجزء الثانى .

جاء شعر صالح جودت مصورا لإحساسه بالجمال، الذى أخذ مجامع عواطفه ومشاعره، واستولى على حياته وقدراته، فاحتلت قصيدة الغزل مكانة متميزة من حيث الكم والتنوع، ومن حيث المكان والزمان، إذ كانت لشاعرنا رحلات فى أرجاء المعمورة، فكانت تجربة الغزل تتولد حيث رحل، تفصح عنها قصائده أو مقطوعاته، مما يؤكد افتنانه بالجمال أو الحسن، بدءا من نشأته، وانتهاء بآخر لحظات عمره.

لم تكن غزليات صالح جودت لونا من ألوان المجون الفاضح أو اللهو الرخيص، إذ لم تدفعه إلى هذا متعة متدنية، أو شهوة وضيعة، ولم يكن غزله ووصفه للمرأة مبتذلا.

رأينا لصالح جودت الغزل الصريح، الذى يصف جمال العيون وسحر الجفون، واستواء القامة وطولها، وسواد الشعر أو ذهبيه، وشمم الأنف ودقته وامتلاء الساقين وتناسقهما، وورد الخدود وسحر الحديث، ورقة الأسنان واستواءها.

ورأينا له الغزل العفيف، فى كبرياء المرأة وتعاليها وطهرها وعفافها وتمنعها، فى سمو الحب ونبله.

لقد حول شاعرنا بعض الشخصيات التراثية إلى تجربة غزلية، كما يتضح فى مقدمة قصيدته "بلقيس".

والشاعر وظف الطبيعة بمكوناتها وأشكالها فى تجربة الغزل ومقوماتها وبناء صورها، كما وظف حوادث التاريخ وشخصياته الأنثوية.

بدأت تجربة الغزل عند صالح جودت فى مرتع شبابه، فى المنصورة، التى ارتبطت عنده بأحلامه وحبه وافتنانه بمن فيها وما فيها، كما قال: "المنصورة أرض طيبة، تنبت الشعر والجمال والحب والخيال ... كل ما فيها فاتن، وكل ما فيها عاشق[٢].

---

(٢) نقلا عن : د. محمد عبد المنعم خفاجى . الأدب العربى الحديث . الجزء الثانى . (مدرسة أبوللو) . مكتبة الكليات الأزهرية . ص ٨٦ .

وارتبطت المنصورة بذكرياته وآماله، ومواثيق صلاته وصداقاته، ويتضح هذا من قصيدته "أحلام المنصورة" التى ترتبط بمناجاة الحبيب، وبأحداث المنصورة وأمجادها، وبفيض من مشاعر الغربة والرحيل للذكريات الجريحة، ذكريات الهوى والشباب، كما يقول مخاطبا المدينة:

يوم ودعتك ودعت شبابى
أين أحلامى على تلك الروابى ؟
ذابت الأحلام فى قلبى المذاب

... ...

لى حبيب فيك أفديه بعمرى
سمرة النيل على خديه تجرى
هو إلهامى وأحلامى وشعرى
ونعيمى بين عينيه وسكرى
كان عند الليلة الظلماء بدرى

فالر وابى والنيل والليل لبنات تكون الصور، والوداع وضياع الآمال وحسرة القلب ترسم مقومات الغربة والحزن، لكن عوامل الأمل تنبثق فتبدو ملامح السعادة والنشوة فى غد مشرق بديل لذكريات الأسى، كما فى قوله:

لا تقولى عن هوانا هو أحلى الذكريات
ذكرياتى هى أمسى إنما أنت غداتى
كل ما فات شعاع الفجر مما هو آت

... ...

وسيبقى ما همسناه ألذ الهمسات
وسيبقى الجو مغمورا بعطر القبلات
وستبقين على الأيام أحلى أغنياتى[٣]

---

(٣) صالح جودت . ديوان الله والنيل والحب . ط الثانية ١٩٨٧ . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص٢٥.

كان صالح جودت هائما بمظاهر الجمال المادى وأشكاله عند المرأة، فأعطانا صورا من الغزل الصريح، شملت مكونات المرأة، ومن هذه الصور جمال العيون، حورها، اتساعها، استدارها:

عيناك جـــوهرتان من ألق .. لون الزمرد فيهمـــا يردى
لا تخفضى الجفنين فى ترف .. ترف المدل يبوع بالقصـــد
إنى لألمح فيهمـــا ظمأ .. لن يرتوى من شاعر بعدى[٤]

ومنها اعتدال القوام وتناسقه كما فى قوله :

والقامـة اللـفاء فارعـــة .. مشوقة كالأبيض الهنـدى[٥]

وكقوله :

قوامـك الرائع ما راعنى .. وشعرك اللامع ما همـــنى
ولا هفت روحى إلى لذة .. أبلغها من عـــودك اللين[٦]

وترتبط الصورة عند صالح جودت بالطبيعة فى أشكالها المختلفة، حية نامية أو جامدة، كما فى قصيدته "رسالة إلى مغرورة"[٧] ومنها قوله

واللثغة الفيناء ناعمة
بعبارة تنساب كالشهد
وتأود الجنبين فى دعة
وتمرد العطفين والنهد
ومناجم الذهب التى إنصهرت
وجرت على الكتفين والزند
وخمائل العطر التى إنسكبت

---

(٤) نفسه ، ص ٥٧ .
(٥) نفسه ، ص ٥٨ .
(٦) صالح جودت . ديوان ألحان مصرية ، ص ١١٥ .
(٧) الله والنبل والحب . ص ٥٧ .

من جوسق النسرين والورد
وغلائل الشفق التى انسدلت
بحدائق الشفتين والخد
والجيد إذ يختال فى تلع
فتغار منه لآلئ العقد

فالشهد والذهب والنسرين والورد واللآلئ تشكل لبنات الصور، التى تبرز مقومات الجمال والبهجة، والتى تعد من الأسس المهمة فى شعر الغزل.

وقد ترتبط الصورة بمجال نفسى، من خلال عمق وجدانى تنم عن التأمل والوله بمشهد من مشاهد الجمال، كقصيدته "عيناك"[٨] ومنها قوله:

عيناك يا نجوى أهواهما
أذوب فى عمقهما الأعمق
أرى خيالى فى مغانيها
يسرى بلا عقل ولا منطق
تلك بحيراتى التى أجتلى
فيروزها يسبح فى الزنبق
تلك خميلاتى ، وفى ظلها
ألمح لون الأمل المشرق
تلك نجيماتى ، على سلم
من نورها نحو السما أرتقى
وتلك جناتى ، فلا تحرمى
منها فؤاد العابد المتقى
وأغنياتى الزرق مجلوة
من ذهب الأهداب فى جوسق

---

(٨) ألحان متمردة . ص ١٠١ .

والقصيدة أيضا تعتمد فى صورها المكررة لجمال العيون على الطبيعة فى تنوع من أشكالها التى تدخل البهجة، وذلك مثل بحيرات، خميلات، جنات، أغنيات، وهى صور تمثل مقومات الحياة السعيدة بآمالها الراقية، ومتعها المحببة، وقد تتجمع صور من الجمال فى أبيات محددة من غزلية، كما فى قصيدته "قرطاجية"[٩] ومنها:

قسما بسحر عيونك الخضر .. يا أجمل الألوان فى عمرى
وبدرك المنظـــوم مزدهيا .. بالأحمر المضمـــوم فى الثغر
وبصوتك المنغوم يهمس لى .. وبعطرك المشموم فى النحر
وبصدرك المعصوم من نزقى .. وبليلك المقسوم فى الشعر
وبقدك المرســـوم ترقصه .. فتن الخلاعـة فى حمى البحر
ما كان لى إلاك أمنيـــة .. لو طالعتنى ليلة القـــدر

وقد تتجمع فى بيت واحد كما فى قوله :

العطر فى صدره والشهد فى فمه .. والورد فى خده والغل فى الجيد[١٠]

ومن صور الجمال انتظام الخطى، وتناسق حركاتها فى قوله :

لحنت أشعارى على مشيتك الموقعة
إن سرت فى الدرب سمعت فى الفؤاد فرقعة
كأنما قيثارة فى قدميك مودعة
يا نغمات تحت أقدام الجمال طيعة[١١]

وتشده عوامل الصبابة بمفاتن الجمال والحسن بأشكاله المتقابلة، أو المتألفة، أو بألوان من السلوكيات، فلا يتوقف عند واحد منها، كما فى قوله:

---

(٩) الله والنيل والحب . ص ٧٠ .
(١٠) نفسه ، ص ٥٢ .
(١١) نفسه ، ص ١١١ .

يطالعنى ور اء السرب سرب .. ولى قلب على الظبيات حدب
أشاهدهن ألوانا حسانا .. فلا أدرى لأيتهن أصبو
فضامرة بكفى أحتويها .. وفارعة لقامتها أشب
وسمراء لها فى القلب وقع .. وشقراء لها فى العين وثب
وعاقلة لها فتن رواس .. وماجنة لها هذر ولعب
وساذجة براءتها تغنى .. وماكرة لها ولع ولوب
وقاسية محببة التحدى .. وناعمة تلذ وتستحب[١٢]

ومن الأعلام التراثية فى تجارب الغزل "ليلى" أو "هند"، وقد تستدعى هذه الأعلام رمزا لمن أحبها الشاعر، كما فى قوله:

أجل .. ظمآن يا ليلى ...وماء الحب فى نهرك
خذينى فى ذراعيك ، وضمينى إلى صدرك
دعينى أشرب النور الذى ينساب من شعرك
وروى لهفة الظمآن بالقبلة من ثغرك[١٣]

وهذه تجربة تمتزج بلهفة اللقاء، تدفعها رغبة فى الارتواء والمتعة بمقومات الجمال وأشكاله.

كان لصالح جودت غزلياته العفيفة التى تحمل مقومات الحب الطاهر فى صدق ونقاء وعفاف وسمو غاية، مرتبطة بحرارة الإيمان وتوقد العاطفة، ودوام الرباط وشدته، كما فى قوله:

أهواك فى صبر وفى عفة .. أهواك فى طهر وفى تقوى
أصنع من وحيك قيثارتى .. وأملأ الدنيا بها شدوا
ولا أرى معصية فى الهوى .. مادمت أرضى منك بالنجوى

---

(١٢) ألحان مصرية ، ص ٤٨ .
(١٣) الله والنيل والحب ، ص ٩٣ .

وأكتفى بالسهد فى صبوتى .. وأحتفى بالدمع والشكوى[١٤]

وقد ترتبط القصيدة بخيط درامى من خلال رسالة حب، تشف عن قرب منزلة الحبيب، ووثيق الرباط مع سعادة تفيض بالوفاء والصدق، ومن هذا ما ورد فى قوله:

على أجنحة الأشواق أهديك تحياتى
وأشكو لك طول البعد يا أقرب من ذاتى
وماذا أكتب الليلة يا أحلى رسالاتى
وماذا أنظم الليلة يا أجمل أبياتى
أضأت الشمعة الحمراء فى ليل صباباتى
وأدعو الله أن تصغى إلى همس مناجاتى[١٥]

ومن مقومات الغزل العذرى تعالى المحبوبة وتمنعها وكبرياؤها، وقد يعذّب الحب ويشقى، ويجد هذا عذبا عن رضى، كقول شاعرنا:

ما للمدل أغضى .. فقلبه ليس يرضى
أرنو إليه فيضنى .. جفنيه رفعا وخفضا
كأنه وهو منى .. بعضى يعذب بعضا
منحته الود صرفا .. فسامنى الذل محضا
يا من أسوق إليه شفاعتى تترضى
قلبى بكفيك رهن .. فهب حنانك قرضا
كفاك تيهها وكبرا .. وابسط جناحك خفضا[١٦]

ويقول :

ويظل قلبى فى تعلقه .. إما قسوت عليه أو لنت

---

(١٤) نفسه ، ص ١٨٣ .

(١٥) نفسه ، ص ٤٤ .

(١٦) نفسه ، ص ١٠١ .

فإذا اختلفت صرخت من جرعى .. متوسلا عودى كما كنت[١٧]

والغيرة قد لا تخلو منها تجربة حب، فكثير من النساء يغرن ممن يفوقهن جمالا، وإذا حظيت واحدة بعناية أو بإعجاب وثناء سلطت عليها سهام الحقد، واتقدت نار الغيرة لدى من يعرفنها حتى ذوات القربى، وقد تتحول الغيرة إلى ثورة من الغضب محاولة تمزيق الطرف الآخر والوقوف على أشلائه، كما جاء فى قوله على لسان من أحبته:

من التى تشغله ؟ ما خطبها ؟ ما خطبه ؟
من التى من جفنى تحلم لو تنهبه ؟
لعلها أجمل منى ... حسنها يخلبه
لعلها أطول منى ... طولها يجذبه
أواه من يبلغنى قوامها أصلبه
أواه من يمكننى من دمها أشربه
وبعدها الطوفان إما جاء لا أرهبه[١٨]

ومن الأدواء التى تصيب المرأة داء "السادية" وهو تعذيب الأنثى الآخرين بحبهم لها، فهى تسعد بشقائهم وهيامهم .

ولم تخل تجربة الحب عند صالح جودت من مثل هذا، كما ورد فى قصيدته "ساديزم" ومنها:

فديت من إن رأتنى .. أنوء بالجرح تضحك
وإن تأوهت قالت .. لا أبرأ ! الله جرحك
..
سادية تتشهى .. لون احتراق الشموع
غذوها من عذابى .. وسكرها من دموعى

---

(١٧) نفسه ، ص ٤٨ .

(١٨) نفسه ، ص ٥٣ .

مجنـــــــونة القـــــلب إما .. حنـــوت تقســـو وتجـــنو[١٩]

وغزليات صالح جودت لا تأخذ نمطا واحد أو متقاربا من حيث الطول أو القصـر، فالخط البيانى لهذا اللون يعلو إلى عشرات الأبيات، ويهبط إلى ما دون العشـرة، وقـد تـأخذ التجربة عنده قدرا ممتدا من المعاناة، من خلال وعاء زمنى ممتد، وقد تتولد من خـلال مشـهد عابر.

أما الملامح الرومانسية فتكون النص ولا تغيب عنه، ومنها العاطفة المجنحة والمنطلقة فى عمق الخيال، والمرتبطة بالطبيعة المشخصة بأحاسيسها ومشاركتها الوجدانيـة، فهـى الخـل الأمين والعون القريب.

وقد يأتى عنـوان القصيـدة مرتبطـا بالطبيعـة أيضـا، أو ملتصقـا بهـا مثـل قصـائده: "أغنيات المساء، أحلام المنصورة، قرطاجيـة"، ومـن عنوانهـا مـا يرتبـط بـالمؤنث، كقصـائده: "حبيبتى، قالت سها، غضبى، لا تنكرى، ليلى".

ومن الملامح الرومانسية أيضا، أن المشـاعر الحزينـة المكثفـة لا تغيـب عـن غزلياتـه، لاسيما قصائد الذكريات، التى تفيض بـآلام المـاضى وجروحـه، وهـى تحمـل مشـاعر الغربـة والأسى فى اعتزاز ورضى.

أما ألفاظه وتعبيراته فتتميز بالرقـة والعذوبـة، وهـى ذات صـلـة وثيقـة بالمشـاعر، إذ تلمس مواطن الإحساس بالجمال فى يسر وسهولة، ولا تحتاج إلى جهد فى معانيها ودلالتهـا، فهى عصرية رائجة الاستعمال، شائعة التداول.

" صالح جودت من شعراء " أبوللو " الذين أحسنوا استغلال اللفظ الشـعرى فـى أشعارهم استغلالا كبيرا، وألفاظه لا تبعد كثـيرا عـن تلـك الألفـاظ التـى طفـح بهـا المعجـم الشعرى عند شعراء هذه المدرسة"[٢٠].

---

(١٩) نفسه ، ص ٥٣ .

(٢٠) د. محمدسعدفشوان.مدرسةأبوللو الشعرية فى ضوء النقد الحديث، د.ت.، دار المعارف،ص١٥٦.

كانت لألفاظه النغمة العذبة، ولعبارته رونقها وحلاوتها وجمال موسيقاها، وهذا ما هيأ لغزله أن يكون صوتا عذبا للغناء على ألسنة رواد الغناء ورائداته فى مصر .

وشعر صالح جودت كغيره لا يخلو من هنات ومآخذ، فى الصورة أو فى القوالب التعبيرية أو فى الفكرة، من هذا قوله:

وأفتح التاريخ كى تدخلى .. شرفته من بابها الأوسع[٢١]

وقوله :

أضاع ما بينه وبينى .. من كان أغلى من نور عينى[٢٢]

فتلك صيغ عامية شائعة ـ (دخل التاريخ من أوسع أبوابه، فلان أغلى من نور عينى) ـ وهى لا ترقى إلى مستوى الشعر الجيد.

ومن الصور الغريبة التى تثير الحيرة والتردد فى عدم ملاءمتها للذوق الفنى تصويره لذهبى الشعر، قوله:

ومناجم الذهب التى انصهرت .. وجرت على الكتفين والزند[٢٣]

ومنها ما هو أشد غرابة قوله :

ونعصر الشمس خمرا .. بجامها نتوضا[٢٤]

إذ الصورة تتطلب تساؤلات ، وتحتاج إلى معاناة لفك ما فيها من رمز .

ومنها ما يثير الضحك وربما السخرية ، كقوله :

---

(٢١) الحان مصرية . ص ٧٩ .

(٢٢) الله والنيل والحب . ص ١٨٧ .

(٢٣) نفسه . ص ٥٨ .

(٢٤) نفسه . ص ١٠٢ .

لحنت أشعاري على مشيتك الموقعة .. إن سرت في الدرب سمعت في الفؤاد فرقعة[٢٥]

فاستعمال كلمة فرقعة ووعاؤها الفؤاد يثير التندر والضحك ، ويشد إلى السوقية .

---

(٢٥) نقسه . ص ١١١ .

المصادر و المراجع

أولا : صالح جودت .

ديوان ألحان مصرية . دار الكتاب العربى ، القاهرة ، ١٩٦٨ .

ديوان ا لله والنيل والحب . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٧ .

ناجى . حياته وشعره ، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب ، القاهرة ، ١٩٦٠ .

ثانيا :

١ ـ سعد دعبيس (دكتور). الغزل فى الشعر العربى الحديث فى مصر ، ط الثانية، دار النهضة، القاهرة، ١٩٧٩.

٢ ـ شوقى ضيف (دكتور). دراسات فى الشعر العربى المعاصر، دار المعارف، ١٩٧٤.

٣ ـ الطاهر أحمد مكى (دكتور) . الشعر العربى المعاصر ، دوافعه ومدخل لقراءته ، ط. الأولى ، دار المعارف بمصر ، ١٩٨٣ .

٤ ـ طه وادى (دكتور) . جماليات القصيدة المعاصرة . دار المعارف . د.ت.

٥ ـ عبد العزيز جادو (دكتور). ألوان من الجمال والغزل، سلسلة اقرأ (٥٤٠)، دار المعارف .

٦ ـ عبد العزيز الدسوقى (دكتور). جماعة أبوللو وأثرها فى الشعر الحديث، الهيئة العامة للتأليف والترجمة والنشر . القاهرة ، ١٩٧١ .

٧ ـ محمد سعد فشوان (دكتور). مدرسة أبوللو الشعرية فى ضوء النقد الحديث، دار المعارف، د.ت.

٨ ـ محمد عبد المنعم خفاجى (دكتور). الأدب العربى الحديث، الجزء الثانى،(مدرسة أبوللو) ، مكتبة الكليات الأزهرية، د.ت,

٩ ـ محمد مندور (دكتور). محاضرات فى الأدب ومذاهبه، معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة ، ١٩٥٥ .